ما يصغّر على وفق قواعـــــد خاصة في كتاب سيبويه

(تصنيف منهجيّ وشرح لغوامض الكتاب وشواهده)

أ.د.محمد كاظم البكّاء
جامعة الكوفة – كلية الفقه

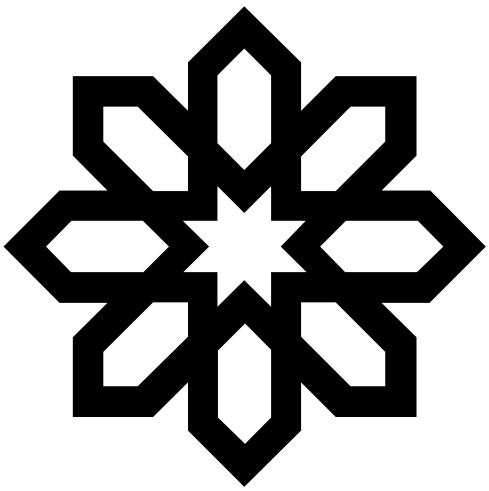

مقدمة

لاشك أنّ (الكتاب) الذي عهد بأبوابه الخليل بن أحمد الفراهيدي (- ١٧٥ هـ) إلى تلميذه سيبويه (- ١٨٥ هـ) هو المرجع الأوّل الذي اعتمد عليه النحويون كافة ، وكانوا يهابون التأليف في النحو من صيته وشهرته ، حتى قيل : من أراد أن يؤلف كتابا مثل كتاب سيبويه فليستحي . وفي أهميته في دراسة النحو قيل : من فهم كتاب سيبويه فلا حاجة فيه إلى غيره ، ولكنّ طلبة النحو أعرضوا عنه منشغلين بكتب النحويين المتأخرين في حين أقبل عليه المستشرقون ينهلون من فيضه وسعة أبوابه ودقة مباحثه ومسائله ،ومنهم المستشرق جيمس كـــــــــــارتر في كتابـــــه (التحليل النحوي في كتاب سيبويه) ، وله بحث يؤسس فيه نظرية كاملة لدراسة الموافقة والمخالفة (هوهو وليس هو) في ضوء عبارة ردّدها سيبويه في كتابه ، وهي : (عشرون درهما) ، وقد أفدنا من مراسلة العلامة المستشرق جيمس كارتر وبحوثه في كتابنا (منهج التقويم النحوي في كتاب سيبويه) الذي اطلع عليه وجعله من مصادر فقرة سيبويه في (الموسوعة الإسلامية) . ومن المستشرقين الذين درسوا كتاب سيبويه المستشرق البريطاني بالامي ،وقد نشر بحثا بعنوان (نصّ صعب في كتاب سيبويه) في إحدى المجلات الدولية ،فترجمناه ودرسناه وعلّقنا عليه في مجلة الضاد (العدد الرابع لسنة ١٩٩٠) ، وقد أوضحنا فيه وفي غيره أنّ ما يعتور الكتاب من صعوبة ترجع إلى عدم وضوح منهجه الذي أقامه سيبويه على نظرية الإسناد ، وقد جعله ثلاثة أنواع هي : إسناد الفعل وما يعمل عمله ، وإسناد الاسم وما يجري مجراه ، والإسناد الذي بمنزلة الفعل نحو : الحروف الخمسة ، والنداء . وهذا المنهج يختلف قطعا عن منهج النحويين المتأخرين الذي شرعه في تقـــديرنا ابن السراج (- ٣٧٠ هـ) في كتابه (الأصول العامة) ، ومنهجه مقدمة في الكلام والكلمة، والإعراب والبناء ، والنكرة والمعرفة ، ثم أبواب المرفوعات ، والمنصوبات ، والمجرورات ،وأبواب أخرى . فمن المتوقع قطعا أنّ الذي درس النحو في ضوء هذا المنهج لا يقدر على التعامل مع كتاب سيبويه إضافة إلى أنّ الكتاب قد تفرّد بقواعد وآراء لا نجدها في كتب النحويين المتأخرين . وفي إمكان الباحث أن يستنبط قواعد عديدة من دراسة كتاب سيبويه عامة ، وهذه الأبواب خاصة ؛ فهو منهج ثرّ ، وأرض بكر .فالباب الأوّل ، وهو(تصغير ما ثانيه ياء) قد أقامه على المنهج الصوتي ، وفيه : شُيَيْخ ، وشِيَيْخ موضحا الانسجام الصوتي ، والعلاقة بين الأصوات . و الباب الثاني (باب ترخيم المؤنّث) ، حافل بقواعد لها علاقة بنوع الكلمة ، نعن :عناق ، أو كونها نعتا لمؤنّث ، ولكنّها وصف لشيء ، والشيء مذكر، نحو : حائض . وهكذا ستجد جميع الأبواب ذات قواعد نحوية ولغوية وصوتية .

ولغرض إعادة كتاب سيبويه إلى الدرس النحوي ، وإشاعة ثقافة مراجعته ، والإفادة من مسائله أصدرنا(كتاب سيبويه تصنيف منهجيّ وتحقيق علميّ) وقد جعلنا القسم الأوّل منه في المقدمة وإسناد الفعل ، وهو في خمسة أجزاء . وقد تأخر طبع القسم الثاني منه (خمسة أجزاء)، وهو في الصرف والأصوات ، فرأينا أن ننشر منه بعض الأبواب التي نجدها مهمة من النسخة التي حقّقناها لبيان تصنيف هذه الأبواب على وفق منهج سيبويه مقترنة بالعناوين التي نجدها لدى النحويين المتأخرين ، وقد تفرقت هذه الأبواب لديهم في مواضع متعددة . وحبذا أن يوازن بعض الباحثين بين هذه الأبواب ، وما لدى النحويين المتأخرين .

وهذه الأبواب التي اخترناها من التصغيرهي النوع العاشر من أنواع التصغيرالتي لها قواعد خاصة ، فقد وجدنا سيبويه قد صنّف من غير تصريح بذلك أبواب التصغير ذات القواعد المطّردة من هذه التي لها قواعد خاصة . وتلك الأبواب المطّردة بقواعدها هي :

النوع الأوّل – تصغير ما كان على خمسة فنازلا

النوع الثاني – ما يصغّر على جمـــــع التكسير

النوع الثالث - تصغير المزيـــد بحذف أو تثبيت

النوع الرابع – التصغيـر بالـــــردّ إلى الأصـــل

النوع الخامس- تصغير ما فيه إعلال بالبدل أو القلب

النوع السادس – تصغير المركب
النوع السابع – تصغير المرخّم
النوع الثامن – ما يستغنى بتصغيره عن تكبيره
استطراد فيما لا يصغّر
النوع التاسع– ما يصغّر للدلالة على دنوه من الشيء

وهي أنواع سمّيناها وصنّفناها في أبواب التصغيرفي كتاب سيبويه من دون أن نمس ترتيب الأبواب عنده .وهذا التصنيف والترتيب لم نجده في كتب النحويين المتأخرين .
انتهجنا في الكتاب تصنيف الأبواب ، وترقيم الأمثلة ، وتحديد مواضع التعليق والتعقيب الذي خلت منه جميع نسخ الكتاب المحقّقة والمخطوطة . و زدنا التصنيف بيانا لغوامض الكتاب وشرح شواهده ، جاعلين العناوين وما زدناه على النص المحقّق بين معقوفتين [ ] ، إضافة إلى حواشي التفسير وشر
وهمنا في هذا البحث لفت الانتباه إلى أهمية كتاب سيبويه ، فلا يصلح هذا الحال إلا بما صلح به أوّله . وإذا ما وجدنا الفائدة في هذا البحث فسنتابع اختيار أبواب أخرى, والله ولي التوفيق .

[الباب الأوّل – تصغير ما كان ثانيه ياء]
هذا باب تحقير كلّ اسم كان ثانيه ياءً تَثبت في التحقير، وذلك نحو بَيْتٍ وشَيْخٍ وسَيِّدٍ ، وأحسنه أن تقول شُيَيْخٌ ، وسُيَيْدٌ فتَضمّ ؛ لأنّ التحقير يَضمّ أوائل الأسماء وهو لازم له ، كما أنّ الياء لا زمة له.
ومن العرب من يقول شِيَيْخٌ ، وبِيَيْتٌ ، وسِيَيْدٌ كراهية الياء بعد الضمة (١).

[الباب الثاني – تصغير المؤنّث]
هذا باب تحقير المؤنّث :
اعلم أنّ كلّ مؤنث كان على ثلاثة أحرف ، فتحقيره بالهاء ، وذلك قولك في قَدَمٍ : قُدَيْمةٌ ، وفي يَدٍ : يُدَيَّة .
وزعم الخليل (رح) أنّهم إنّما أدخلوا الهاء ليَفرقوا بين المؤنّث والمذكّر .
قلتُ : فما بالُ عَناقٍ ؟ (٢)
قال : استثقلوا الهاءَ حين كثُر العددُ ، فصارت القافُ بمنزلة الهاء ، فساوت فُعَيْلةٌ في العدد والزنة ، فاستثقلوا الهاءَ ، وكذلك جميع ما كان على أربعة أحرف فصاعِدا .
قلتُ : فما بالُ سَماءٍ قالوا : سُمَيَّة ؟
قال : من قِبَل أنها تُحذف في التحقير ، فيصير تحقيرُها كتحقير ما كان على ثلاثة أحرف ، فلمّا خفّتْ صارت بمنزلة دَلْوٍ(٣) ، كأنك حقّرت شيئاً على ثلاثة أحرف .
فإن حقّرت امرأة اسمها سَقّاء، قلت :سُقَيْقِيٌّ ،ولم تُدخِلها الهاءَ ؛لأنّ الاسم قد تمّ .
وسألتُه (رح) عن الذين قالوا في حُبارَى: حُبَيِّرةٌ ،
فقال : لمّا كانت فيه علامة التأنيث ثابتة أرادوا أن لا يفارقها ذلك في التحقير ، وصاروا كأنّهم حقّروا حُبارةً . وأمّا الذين تركوا الهاء ، فقالوا : حذفنا الياء والبقية على أربعة أحرف ، فكأنّا حقّرنا حُبارٌ. ومن قال في حُبارى : حُبَيِّرةٌ ، قال في لغَيْزى : لُغَيْغِيْزَةٌ ، وفي جميع ما كانت فيه الألف خامسة فصاعدا إذا كانت ألفَ تأنيث .
وسألتُه (رح) عن تحقير نَصَفٍ نعتَ امرأةٍ ، فقال : تحقيرها نُصَيْفٌ ؛ وذاك لأنّه مذكّر وُصف به مؤنّث ؛ ألا ترى أنّك تقول : هذا رجلٌ نَصَفٌ . ومثل ذلك أنّك تقول :هذه امرأةٌ رضًى ، فإذا حقّرتها لم تُدخل الهاء ؛ لأنّها وُصفت بمذكّر ، وشاركت المذكّر في صفته ، فلم تَغلب عليه ؛ ألا ترى أنّك لو رخَّمْتَ: الضامِرَ، لم تقل: ضُمَيْرةٌ . وتصديق ذلك فيما زعم الخليل (رح) قول العرب في الخَلَق: خُلَيْقٌ ، وإن عنواالمؤنّث ؛ لأنّه مذكّر يوصَف به المذكّر ، فشاركه فيه المؤنّث . وزعم الخليل (رح) أنّ الفَرَس كذلك (١).

وسألته عن الناب من الإبل ، فقـــال : إنما قالوا : نُيَيْبٌ ؛ لأنّهم جعلـوا النـاب الذَّكر اسماً لهـا حين طـال نابُها ، على نحو قولك للمرأة: إنما أنتِ بُطَيْنٌ ، ومثلها أنتَ عينُهم ، فصار اسماً غالباً . وزعم (رح) أنّ الحرف بتلك المنزلة كأنّه مصدر مذكّر كالعَدْل ، والعدل مذكّر . وقد يقال : جاءت العدلُ المُسْلِمةُ ، وكأنّ الحرفَ صفةٌ ، ولكنّها أُجريت مجرى الاسم ، كما أُجري الأبْطَحُ ، والأبْرَقُ ، والأجْدَلُ .
وإذا رخَّمتَ الحائِضَ فهو كالضامِر ؛ لأنّه إنما وقع وصفاً لشَيء ، والشَّيْءُ مذكّر وقد بيّنا هذا فيما قبلُ .
قلتُ فما بال المرأة إذا سُمِّيت بحَجَر قلتُ حُجَيْرةٌ ؟
قال : لأنّ حَجَر قد صار اسماً لها عَلَماً ، وصار خالصا وليس بصفـــة ، ولا اسماً شاركت فيه مذكَّرا على معنى واحد ، ولم تُرد أن تحقّر الحَجَرَ،كما أنّك أردت أن تحقّر المذكّر حين قلت : عُدَيْلٌ ،وقُرَيْشٌ ، وإنما هو كقولك للمرأة : ما أنتِ إلاّ رُجَيْلٌ ، وللرجل ما أنتَ إلاّ مُرَيَّةٌ ، فإنما حقَّرتَ الرجُل والمَرْأة .
ولو سمَّيت امرأة بفَرَسٍ لقلت : فُرَيْسةٌ ، كما قلت :حُجَيْرةٌ . وإذا حقَّرت الناب والعَدْل وأشباهها ، فإنّك تحقّر ذلك الشيء ، والمعنى يدلّ على ذلك .
وإذا سمَّيت رجلاً بعَيْنٍ ، أو أُذُنٍ فتحقيره بغير هاء ،وتَدع الهاءهنا كما أدخلتها في حَجَرٍ اسمَ امرأة ، ويونسُ يُدخِل الهاء ويَحتجَّ بأُذَيْنة ، وإنما سُمِّي بمحقّره.

[الباب الثالث – ما يصغر على لفظ آخر]
هذا باب ما يُحَقَّر على غير مُكَبَّرِهِ الذي يُستعمل في الكلام :
فمن ذلك قولُ العربِ في مَغْربِ الشمس : مُغَيْربانُ الشمس ، وفي العَشيِّ آتيك : عُشَيَّانا . وسمعنا من العرب من يقول في عَشِيَّة : عُشَيْشِيَةٌ ، كأنّهم حقَّروا مَغْربانٌ ، وعَشْيانٌ وعَشَاةٌ .

[الأمثلة :]
١- وسألت الخليل(رح) عن قولك آتيك أُصَيْلالاً ، فقال :إنّما هو أُصَيْلانٌ ، أبدلوا اللام منها ، وتصديقُ ذلك قولُ العرب آتيك أُصَيْلاناً (٢).
٢- وسألته(رح) عن قول بعض العرب آتيكَ عُشَيَّاناتٍ ، ومُغَيْرباناتٍ ، فقال : جَعل ذلك الحين أجزاءً ؛ لأنّه حِينٌ كلّما تصوَّبتْ فيه الشمسُ ذهب منه جزءٌ . فقالوا : عُشَيِّانات كأنّهم سمّوا كلَّ جزءٍ منه عَشِيَّةٌ ، ومثل ذلك قولك المَفارقُ في مَفْرِقٍ ،جعلوا المَفْرِقَ مواضعَ ، ثم قالوا : المَفارِقُ ، كأنّهم سمَّوا كلَّ موضع مَفْرِقا ، قال الشاعر ،وهوجرير : [الكامل]

٤٢ - قال العَواذِلُ ما لجَهْلِك بعدما شابَ المَفارِقُ واكْتَسَيْنَ قَتِيرا

ومن ذلك قولُهم للبعير ذو عَثانينَ ، كأنّهم جعلوا كلّ جزء منه عُثْنوناً ، ونحو ذا كثير .

[تعليق :]
فأماغُدَوةٌ فتحقيرها عليها ، تقول غُدَيَّةٌ. كذلك سَحَرُ ، تقول : أتانا سُحَيْراً ، وكذلك ضُحًى ، تقول : أتانا ضُحَيًّا . وقال الشاعر ،وهو النابغة الجَعْدي: [متقارب]
٤٣- كأنَّ الغُبارَ الذي غادَرتْ ضُحَيًّا دَواخِنُ مِن تَنْضُبِ

[تعقيب :]
واعلمْ أنّك لاتحقّر في تحقيرك هذه الأشياءَ الحينَ (١)، ولكنّك تريد أن تُقرِّب حيناً من حينٍ ، وتقلّلَ الذي ما بينها ، كما أنّك إذا قلت دُوَيْنَ ذاك ، وفُوَيْقَ ذاك ، فإنما تقرِّب الشيء من الشيء ، وتقلّل الذي بينهما ،وليس المكانُ بالذي يحقّر . ومثلُ ذلك قُبَيْلُ، وبُعَيْدُ ، فلمَّا كانت أحياناً ، وكانت لا تَمكّنُ ، وكانت لم

تحقَّر ،لم تمَكَّن على هذا الحدّ تمكُّنَ غيرها . وقد بيَّنَا ذلك فيما جاء تحقيرُه مخالفاً كتحقير المبهم ، فهذا مع كثرتها في الكلام .

[تعليق:]

وجميعُ ذا إذا سُمِّي به الرجل حُقِّر على القياس .

٣- وممّا يحقَّر على غير بناء مُكَبَّره المستعمَل في الكلام إنْسان ،تقـول : أُنَيْسِيانٌ ، وفي بَنونَ أُبَيْنُونَ ، كأنّهم حقَّروا إنْسيانٌ،وكأنهم حقّروا أفْعَلَ . نحو أعْمَى . وفعلوا هذا بهذه الأشياء لكثرة استعمالهم إيَّاها في كلامهم ، وهم ممّا يغيِّرون الأكثر في كلامهم عن نَظائره ، وكما يجيء جمعُ الشَّيْء على غير بنائه المستعمَل . ومثل ذلك لَيْلةٌ ، تقول : لُيَيْلِيَةٌ كما قالوا : لَيالٍ، وقولهم في رَجُلٍ : رُوَيجِلٌ ، ونحو هذا .

[تعليق:]

وجميع هذا أيضاً إذا سمّيت به رجلاً أو امرأة صرفته إلى القياس كما فعلت ذلك بالأحيان .

٤- ومن ذلك قولهم في صِبِيْة: أُصَيْبِيَّة ،وفي غِلْمةٍ أُغَيْلِمةٌ ، كأنهم حقَّروا أغْلِمةٌ وأصْبِيةٌ ، وذلك أنّ أفْعِلة يَجمَع به فُعالٌ وفَعِيلٌ . فلمّا حقّروه جاءوا به على بناء قد يكون لفعال، وفَعيلٍ . فإذا سمَّيت به امرأة أو رجلاً حقَّرته على القياس ، ومن العرب من يجئ به على القياس ، فيقول صُبَيَّة ، وغُلَيْمةٌ . وقال الراجز :

٤٤- صُبَيَّة على الدُّخان رُمْكَا ما إنْ عَدا أصغرُهم أنْ زَكَّا (١)

الباب الرابع – تصغير الأسماء المبهمة]

هذا باب تحقير الأسماء المبهَمة:

١- اعلمْ أنّ التحقير يَضمُّ أوائل الأسماء ، إلاّ هذه الأسماءَ ، فإنّه يَترك أوائلها على حالها قبل أن تحقَّر ؛ وذلك لأنّ لها نحواً في الكلام ليس لغيرها - وقد بيَّنّا ذلك - فأرادوا أن يكون تحقيرُها على غير تحقير ما سِواها ، وذلك قولك في هذا هذيَّا ، وذاكَ ذَيَّاكَ ، وفي ألاَ أُلَيّا . وإنّما ألحقوا هذه الألفات في أواخِرها لتكون أواخرُها على غير حال أواخر غيرها، كما صارت أوائلُها على ذلك

قلتُ : فما بالُ ياء التصغير ثانيةً في ذا حين حقَّرت ؟

قال : هي في الأصل ثالثة ، ولكنهم حذفوا الياء حين اجتَمعتِ الياءاتُ . وإنّما حذفوها من ذَبَيَّا . وأمّا تَيَّا فإنما هي تحقير تَا ، وقد استُعمل ذلك في الكلام ، قال الشاعر كَعْبٌ الغَنَويُّ : [طويل]

٤٤- وخَبَّرْتماني أنَّما الموتُ في القُرَى فكيف وهَا تَا هَضْبةٌ وقَليب(٢)

وقال عِمْران بن حِطَّانَ : [وافر]

٤٥- وليس لعَيْشِنا هذا مَهاةٌ وليست دارُنا هَاتَا بدارِ

وكرهوا أن يحقّروا المؤنَّث على هذه، فَيلتبسَ الأمر . وأمّا من مَدَّ ألاء فيقول أُلَيّاء ، وألحقوا هذه الألفَ لئلاّ يكون بمنزلة غير المبهَم من الأسماء ، كما فعلوا ذلك في آخِر ذا ، وأوّله ، وأُولاَئِكَ ، هما أُولاَ وأُولاء ، كما أنّ ذاك هو ذا إلاّ أنّك زِدتَ الكاف للمخاطبة .

ومثل ذاك الذي والتي ، تقول اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا ، قال العجّاج [رجز]

٤٦- * بعْدَ اللَّتَيَّا واللَّتَيَّا والتي * (١)

وإذا ثنَّيت حذفتَ هذه الألفات كما تَحذف ألف ذاوتَا لكثرتها في الكلام [إذا ثنّيت . وتصغير ذلك في الكلام ذَيَّاك وذَيَّا لِكَ]، وكذلك اللَّذَيَّا إذا قلت اللَّذَيُّونَ ،والتي إذا قلت اللَّتَيُّات ، والتثنيةُ إذا قلت اللَّذَيَّان واللَّتَيَّان وذَيَّان.

٢- ولا تحقَّرمنْ ، ولا أيُّ إذا صارا بمنزلة الذي ؛ لأنّهما من حروف الاستفهام ، والذي بمنزلة ذا ؛ لأنّها ليست من حروف الاستفهام ، فـ(مَنْ) لم يَلزمه تحقيرٌ كما يَلزم الذي ؛ لأنّه إنما يريد به معنى الذي ، وقد استُغنى عنه بتحقير الذي مع ذا الذي ذكرتُ لك .

واللاّتِي لا تحقَّر ، استغنوا بجمع الواحد إذا حُقِّر عنه ، وهو قولهم اللَّتَيَّاتُ ، فلمّأ استغنوا عنه صار مسقَطاً .

فهذه الأسماءُ لمَّا لم يكن حالُها في التحقير حالَ غيرها من الأسماء غير المبهَمة ، ولم تكن حالُها في أشياء قد بيَّنّاها حالَ غير المبهَمة ، صارت يُستغنى ببعضها عن بعض ، كما استغنوا بقولهم أتانا مُسَيَّانًا ، وعُشَيَّانًا عن تحقير القَصْر في قولهم أتانا قُصْراً وهو العَشِيّ .

[الباب الخامس – تصغير جموع التكسير]

هذا باب تحقير ما كُسِّر عليه الواحدُ للجمع ، وسأبيِّنُ لك تحقير ذلك إن شاء الله:

اعلمْ أنّ كلّ بناء كان لأدْنَى العدد ؛ فإنك تحقّر ذلك البناء لا تجاوزه إلى غيره من قِبَل أنك إنما تريد تقليل الجمع ، ولا يكون ذلك البناءُ إلاَّ لأدْنَى العدد ، فلمّا كان ذلك لم تجاوزه.

[أبنية جموع القلّة للتكسير :]

واعلمْ أنّ لأدنى العدد أبنيةٌ هي مختصة به ، وهي له في الأصل ، وربّما شَرِكَه فيه الأكثرُ ، كما أن الأدنى ربّما شَرِكَ الأكثرَ ، فأبينةُ أدنى العدد(أفْعُلٌ)، نحو أكْلُبٍ ، وأكْعُبٍ ، و(أفعالٌ)، نحو أجْمالٍ ، وأعْدالٍ وأحْمالٍ ، و(أفْعِلةٌ) ، نحو أجْرِبةٍ ، وأنْصِبةٍ ، وأغْرِبةٍ ، و(فِعْلةٌ)، نحو غِلْمةٍ ، وصِبْيةٍ ، وإخْوةٍ ، وولْدةٍ .

فتلك أربعةُ أبنيةٍ ، فما خلا هذا فهو في الأصل للأكثر ، وإن شَرِكَه الأقلُّ ؛ ألا ترى أنّ ما خلا هذا إنما يُحقَّر على واحده . فلو كان شيء مما خلا هذا يكون للأقلّ لحقَّر على بنائه كما تحقَّر الأبنيةُ الأربعةُ التي هي لأدنى العدد ، وذلك قولك في أكْلُبٍ : أُكَيْلِبٌ ، وفي أجْمالٍ : أُجَيْمالٌ ، وفي أجْرِبةٍ : أُجَيْرِبةٌ ، وفي غِلْمةٍ : غُلَيْمَةٌ ، وفي ولْدةٍ : وُلَيْدةٌ ، وكذلك سمعناها من العرب .

فكلُّ شيءٍ خالف هذه الأبنية في الجمع ، فهو لأكثر العدد ، وإن عُني به الأقلَّ ، فهو داخل على بناء الأكثر وفيما ليس له ، كما يَدخل الأكثر على بنائه وفي حَيِّزه .

[الأمثلة :]

١- وسألتُ الخليل (رح) عن تحقير الدَّور ، فقال : أردُّه إلى بناء أقلّ العدد ؛ لأنّي إنما أريد تقليل العدد ، فإذا أردتُ أن أقلّله وأحقره صرتُ إلى بناء الأقلّ ، وذلك قولك : أُدَيْئِرٌ . فإن لم تفعل فحقّرْها على الواحد ، وألْحِقْ تاء الجمع ؛ وذلك لأنّك تردّه إلى الاسم الذي هو لأقلّ العدد ؛ ألا ترى أنّك تقول للأقلّ : ظبياتٌ ، وغَلَواتٌ ، وركَواتٌ. فـ (فَعَلاتٌ) ههنا بمنزلة(أفْعُلٍ) في المذكّر ، و(أفْعالٍ) ونحوهما . وكذلك ما جمع بالواو والنون والياء والنون وإن شَرِكَه الأكثرُ كما يشْرَكَ الأكثرَ الأقلُّ فيما ذكرنا قبل هذا .

٢- وإذا حقَّرت الأكُفّ ، والأرْجُل ، وهنّ قد جاوزن العَشْر . قلت :أُكَيْفِفٌ ، وأُرَيْجِلٌ ؛لأنّ هذا بناءُ أدنى العدد ، وإن كان قد يَشرك فيه الأكثرُ الأقلَّ . وكذلك الأقْدام والأفْخاذُ.

ولوحقَّرت الجَفَنات وقد جاوزن العَشْر لقلت : الجُفَيْنات ، لا تجاوز ؛ لأنّها بناء أقلّ العدد .

وإذا حقَّرت المَرابِدَ ، والمَفاتيحَ ، والقَناديلَ ، والخَنادِقَ قلت : مُرَيْبِداتٌ ، ومُفَيْتيحاتٌ ، وقُنَيْديلاتٌ ، وخُنَيْدِقاتٌ ؛ لأنّ هذا البناء للأكثر ، وإنْ كان يَشركه فيه الأدنى ، فلمّا حقَّرت صيَّرت ذلك إلى شيء هو الأصل للأقلّ ؛ ألا تراهم قالوا : في دَراهِمَ : دُرَيْهِماتٌ .

وإذا حقَّرت الفِئْيان قلت : فُتَيَّة ، فإن لم تقل ذا قلت : فُتَيُّونَ ، فالواو والنون بمنزلة التاء في المؤنث .

وإذا حقَّرت الشُّسوع وأنت تريد الثلاثة قلت : شُسَيْعاتٌ ، ولا تقول : شُسَيِّع ؛ لأن البناء لأكثر العدد في الأصل ، وإنما الأقلُّ مُدخَل عليه ، كما صار الأكثرُ يَدخل على الأقلّ .

وإذا حقَّرت الفُقراءَ قلت : فُقَيِّرُونَ على واحده ،وكذلك أذِلاَّء إن لم تردُدْهُ إلى الأذِلَّة دُلَيِّلُونَ . قال رجل من الأنصار جاهليّ :

إن تَرَيْنا قُلَيِّلينَ كما ذِيد عن المُجْرِبينَ دَوْدٌ صِحاحُ

وكذلك حَمْقَى وهَلْكَى ، وسَكْرَى ، وسَكارَى ، وجَرْحى ، وما كان من هذا النحو مما كُسّرله الواحد . وإنّما صارت التاء والواو والنون لتثليث أدنى العدد إلى تعشيره، وهو الواحد ، كما صارت الألف والنون

للتثنية، ومثنّاة أقلّ من مثلّثه ؛ألا ترى أنَّ جرّ التاء ونصبها سَواءُ ، وجرّ الاثنين والثلاثة الذين هم على حدّ التثنية ، ونصبهم سَواءٌ ، فهذا يقرِّب أن التاء والواو والنون لأدنى العدد ؛ لأنّه وافَق المثنَّى .

[تعليق :]
وإذا أردت أن تجمَع الكُلَيْب لم تقل إلاَّ : كُلَيْباتٌ ؛ لأنّك إن كسّرت المحقَّر ، وأنت تريد جمعه ، ذهبتْ ياءُ التحقير، فاعرفْ هذه الأشياء .
واعلمْ أنّهم يُدخِلون بعضها على بعض للتوسُّع إذا كان ذلك جمعاً

[الباب السادس – تصغير ما جمع على غير واحده]
هذا باب ما كُسر على غير واحده المستعمَل في الكلام ، فإذا أردت أن تحقّره حقَّرته على واحده المستعمَل في الكلام الذي هو من لفظه ، وذلك قولك في ظُروفٍ : ظُرَيِّفونَ ، وفي السُّمحاءِ : سُمَيْحونَ ، وفي الشُّعَراء شُوَيْعرونَ.
وإذا جاء الجمع ليس له واحد مستعمَل في الكلام من لفظه يكون تكسيرُه عليه قياساً ولا غير ذلك ، فتحقيره على واحد هو بناؤه إذا جُمع في القياس ، وذلك نحو عَبادِيدَ ، فإذا حقَّرتها قلت عُبَيْدِيدون ؛ لأنّ عَبادِيد إنما هو جمع فُعْلولٍ ، أو فِعْليلٍ ، أو فِعْلالٍ .
فإذا قلت : عُبَيْديداتٌ ، فأيَّاً ما كان واحدُه فهذا تحقيره .
وزعم يونس أنّ من العرب من يقول في سَراويلَ سُرَيِّيلاتٌ ؛ وذلك لأنّهم جعلوه جماعاً بمنزلة دَخاريض ،وهذا يقوِّي ذاك ؛ لأنّهم إذا أرادوا بها الجمع ، ليس لها واحد في الكلام كُسّرت عليه ولا غير ذلك .
وإذا أردت تحقير الجُلوس والقُعود ، قلت : قُوَيْعِدون ، وجُوَيْلِسون . فإنما جُلوسٌ ههنا حين أردت الجمع بمنزلة ظُروفٍ ، وبمنزلة الشُّهود ، والبُكيِّ .وإنما واحد الشُّهود شاهِدٌ ، والبُكِيِّ الباكي ، هذان االمستعمَلان في الكلام ولم يكسَّر الشُّهودُ والبُكِيِّ عليهما ، فكذلك الجُلوس.

[الباب السابع – تصغير ما يدلّ على الجمع]
هذا بابُ تحقير ما لم يكسَّر عليه واحد للجمع ، ولكنّه شيءٌ واحدٌ يقع على الجميع فتحقيرُه كتحقير الاسم الذي يقع على الواحد ؛ لأنّه بمنزلته ، إلاَّ أنه يُعْنَى به الجميعُ : وذلك قولك في قَوْمٍ : قُوَيْمٌ ، وفي رَجُلٍ: رُجَيْلٌ .
وكذلك النَّفَر ، والرَّهْط ، والنِّسْوة ، وإن عُني بهنّ أدنى العدد ، وكذلك الرَّجْلة ، والصَّحْبة هما بمنزلة النِّسْوة ، وإن كانت الرَّجْلة لأدنى العدد ؛ لأنّهما ليسا مما يكسَّر عليه الواحد .
[تعليق على تصغير جمع ما يدلّ على الجمع :]
وإنْ جُمع شيءٌ من هذا على بناء من أبنية أدنى العدد حقَّرتَ ذلك البناء ، كما تحقّر إذا كان بناءً لما يقع على الواحد ، وذلك نحو : أقْوامٍ ، وأنْفارٍ .وتقول : أُقَيِّام ، وأُنَيْفارٌ.
[الأمثلة :]
١- وإذا حقَّرت الأراهِط قلت : رُهَيْطونَ ، كما قلت في الشُعَراء : شُوَيْعِرون .
٢- وإن حقَّرتَ الخِباث قلت : خُبَيِّثاتٌ ، كما كنت قائلاً ذاك لو حقَّرت الخُبوث ، والخِباثُ - جمع الخَبِيثة- بمنزلة ثِمارٍ ، فمنزلةُ هذه الأشياء منزلة واحدة ، قال :
٤٨- قد شَرِبتْ الأَدُهَيْدِهِينَا قُلَيِّصاتٍ وأُبَيْكِرِينَا
٣- و(الدَّهْداهُ) حاشية الإبل ، فكأنه حقّر دَهادِه فردّه إلى الواحد ، وهو دَهْداهٌ ، وأدخل الياء والنون كما تُدخَل في أرَضِينَ ، وسِنِينَ ، وذلك حين اضطُرّ في الكلام إلى أن يُدخِل ياء التصغير .
٤- وأمّا (أُبيكرِينا) فإنّه جمعُ الأبْكُر ، كما يُجمَع الجُزُرُ والطُّرُقُ ، فتقول جُزُراتٌ ، وطُرُقاتٌ ، ولكنه أدخل الياء والنون ، كما أدخلها في الدُّهَيْدِهِينَ .

٥- وإذا حقَّرت السِّنِينَ لم تقل إلاَّسنَيَّات ؛ لأنّك قد رددت ما ذهب، فصار على بناء لا يُجمَع بالواو والنون (١)، وصار الاسم بمنزلة صُحَيْفةٍ ، وقُصَيْعةٍ(٢).

٦- وكذلك أرَضونَ . تقول : أُرَيْضاتٌ ليس إلاَّ ؛ لأنّها بمنزلة بُدَيْرةٍ .

وإذا حقَّرت أرَضِينَ اسم امرأة قلت : أُرَيْضون ، وكذلك السِّنونَ ، ولا تُدخِل الهاء ؛ لأنّك تحقّر بناءَ أكثرَ من ثلاثة ، ولست تردّها إلى الواحد ؛ لأنّك لا تريد تحقير الجمع ، فأنت لا تجاوز هذا اللفظ كما لا تجاوز ذلك في رَجُل اسمه جَرِيبان . تقول : جُرَيْبان ، كما تقول في خُراسانَ خُرَيْسانُ ، ولا تقول فيه كما تقول حين تحقّر الجَرِيبَين .

٧ - إذا حقَّرتَ سِنِين اسم امرأة في قول من قال هذه سِنينٌ ، كما ترى قلت : سُنَيِّنٌ ، كما ترى على قوله في بِضْعٌ : بُضَيَّعٌ (٣). ومن قال سِنُونَ قال : سُنَيُّونَ ، فرددت ما ذهب وهو اللام ، وإنما هذه الواو والنون إذا وقعتا في الاسم بمنزلة ياء الإضافة ، وتاء التأنيث التي في بنات الأربعة لا يُعتدّ بها ، كأنّك حقّرت سِنِيٌّ .

٨- وإذا حقَّرتَ (أفْعالٌ) اسم رجل قلت : أُفَيْعالٌ ، كما تحقّرها قبل أن يكون اسماً ، فتحقير أفْعالٍ كتحقير عَطْشانَ فرقوا بينها وبين (إفْعالٍ)؛ لأنّه لا يكون إلاَّ واحداً ، ولا يكون (أفْعالٌ) إلاَّ جمعاً ، ولا يغيَّر عن تحقيره قبل أن يكون اسماً ، كما لا يغيّر سِرَحانٌ عن تصغيره إذا سمَّيت به ، ولا تشبُّهه بَلَيْلة ونحوها ، إذا سمّيت بها رجلاً ثم حقَّرتها ؛ لأنّ ذا ليس بقياس .

وتحقير(أفَعْالٍ) مطَّرد على (أُفَيْعالٍ)،وليست (إفْعالٌ).

٩- وإنْ قلت فيها (أفاعيلُ) كأنْعامٍ وأناعيمَ تَجري مجرى سِرْحانٍ وسَراحينَ ؛ لأنّه لو كان كذلك لقلت في جَمَّالٍ جُمَيْمالٌ ؛ لأنّك لا تقول جَماميلُ ، وإنما جرى هذا ليُفرَق بين الجمع والواحد .

المصادر

١- كتاب سيبويه (طبعة بولاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، تحقيق علمي وتصنيف منهجي للدكتور محمد كاظم البكّاء بمخطوطاته الثلاثة)

٢- شرح كتاب سيبويه ، السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ، مصوّرة نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الرقم (٥٢٨ تيمور)

٣- شرح عيون كتاب سيبويه ، أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي المجريطي القرطبي المتوفى ١٠١٠ م ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه . ط ١ ، مصر ، مطبعة حسان ، ١٩٨٤ م .

الهوامش

(١) أو لمجانسة الكسرة للياء . تأمّل الموازنة الصوتية بين الأمثلة .

(٢) تصغيرها : عُنَيْق ، بدون هاء . أراد بالهاء التاء .

(٣) أي : سَمْو

(١) الفرس مؤنث شارك فيه المذكر ، فتصغيره بلا هاء

(٢) أي : تصغير (أصيل) (أصيلان) بإبدال اللام لقولهم (أصيلال)؛ لأن الذي يلي ياء التصغير لا يفتح إلا إذا كان حرف الإعراب هاء التأنيث ، أو الألف المقصورة ، أو الممدودة للتأنيث ، أو الألف وانون الزائدتان . ينظر : شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر هارون، ٢٤٢ .

(١) أراد بالحين الوقت مطلقا .

(١) ديوان رؤبة ، ١٢٠ .

قال الشنتمري (شرح الشواهد – حاشية بولاق ٢/ ١٣٩ -) : " ووقع في الكتاب : ما إن عدا أصغرهم ، والصواب : ما إن عدا أكبرهم ، أي : لم يعد كبيرهم أن يدبّ صغرا وضعفا ، فكيف صغيرهم ."

قال المحقق عبد السلام محمد هارون : " يذكر صبية صغارا تجمعوا حول دخان النار في شدة الزمان وكلب الشتاء فاغبروا وتشعثوا وصاروا رمكا . والرمكة : لون كلون الرماد ، ماعدا : ماجاوز ، وزكّ زكيكا : دبّ وقارب الخطو " .

الشاهد فيه : قوله (صُبَيّة) تصغير صِبْية على لفظها .

(٢) الأسماء المبهمة ، أي : أسماء الإشارة ، وأسماء الاستفهام .

٤٤- قال المحقق عبد السلام محمد هارون : " الأصمعيات ٩٧ من قصيدة يرثي بها أخاه المغوار ...وكان قد قيل لكعب : اخرج بأخيك إلى الأمصار فيصحّ ، فخرج إلى البادية فرأى قبرا ، فعلم أنّ الموت ليس منه نجاة. والهضبة : الجبل ، والقليب : القبر ، وأصله البئر"

الشاهد فيه : قوله : (هاتا) ومعناه هذه ، فإذا صغرت قلت : ها تيّا ؛ لئلا يلتبس بالمذكر ، أي : هذا .

٤٥- قال المحقق عبد السلام محمد هارون : "المقتضب ٢/ ٢٨٨ ، ٤/ ٢٧٧ ...المهاه - بالهاء في آخره - : الصفاء والرقة والحسن ، والأصمعي يرويه مهاة بالتاء ، مقلوب من أصل الماء ، ووزنه (فلعة) ، تقديره :مهوة ، فلما تحرّكت الواو ، وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ."

الشاهد فيه : قوله (هاتا) ، انظر : الشاهد (٤٣) .

(١) انظر : شواهد القسم الأول ، والشاهد فيه : قوله (اللتيا) تصغير التي

(١) أي : أنّك في التصغير تردّ لام اللفظ لتكون (سنو) ، وهي حينئذ لا تجمع جمع مذكر سالم .

(٢) أراد : صار (سنو) مثل صُحيفة ، وقُصيعة تجمعان : صُحيفات وقُصيعات

(٣) وردت في جميع النسخ (يضع ، يضيع) ، وهو غلط عثر عليه أبو نصر هارون في كتابـــه (شرح عيون كتاب سيبويه ، ٢٤٣) وقال :

" إنما أراد سيبويه رحمه الله أنّك إذا حقّرت بضع من قولك : بضع عشرة ؛ فإنّ عشرة بمنزلة الواو والنون في قولك : سنون ، لا يحتسب بها في التحقير " .